

الخصائص النفسية الاجتماعية للأسرة العصرية

حماش الحسين

جامعة تيزي وزو

من الخصائص المميزة للأسرة العصرية في المجتمعات المتطورة والنامية على حد سواء يمكن ذكر مظهرين أساسيين بارزين "الأول مادي، نرمل له أو نعبر عنه باصطلاح رفاهية الأسرة، ويمكن قياس هذه الرفاهية من خلال المستوى الحي الذي تعيش فيه، نوع السكن وعدد الحجرات أوجه الإنفاق والوسائل العصرية التي تستعملها الأسرة في تسهيل المعيشة، الثاني، غير مادي، نعبر عنه باصطلاح تحضر الأسرة ويمكن قياسه عن طريق نوع العلاقات السائدة بين الزوجين وبين الأبناء، خروج المرأة للعمل، درجة تعلمها الأسلوب العصري في المعيشة (قراءة الصحف، ومشاهدة البرامج الإعلامية المختلفة) وتنظيم وقت الفراغ وإتاحة الحرية للمرأة، مدى الأخذ بمبدأ تنظيم الأسرة والاتجاهات نحو تنظيم النسل، سن الزوجة عند الزواج، مدى التطلع الاجتماعي والطموح العصري لكل من الزوجين" (محمود عبد القادر، 1971: 44).

أما فيما يخص الوسط الجغرافي فنجد أن الكثير من هذه الأسرة تقطن خاصة العواصم وتتركز بكثرة في المدن الكبرى ذات المنشآت العمرانية الضخمة والفخمة، وتنتمي إلى وسط اجتماعي واقتصادي عالي أين تظهر فيه الطبقات الغنية والأوساط

المهنية الحرة ذات الرأسمال المعتبر، كما تتميز بمستوى ثقافي لا بأس به، بحيث أبنائها يتلقون تعليم جامعي، بالنسبة لكل من الذكور والإناث دون تمييز بينهم، وأفرادها عادة ما يستعملون اللغتين العربية والفرنسية وبالأخص هذه الأخيرة في حياتهم اليومية.

ولقد أدى الانتشار الهائل لوسائل الإعلام وسهولة المواصلات بين دول العالم إلى تقريب المسافات وكثرة الأسفار وزيادة الاختلاط بين الشعوب الشيء الذي سمح بالاحتكاك الثقافي وتبادل الأفكار والأخبار على جميع المستويات الأمر الذي أدى إلى إحداث تغيرات في أساليب الحياة الأسرية في بعض الدول النامية بالخصوص تلك التي خضعت لعملية التأثير بصفة مركزة، تلك التي تبنت العصرية كنمط معيشي لا رجعة فيه إلا أنه يجب التأكيد هنا أن هذا النوع من الأسر خاصة في المجتمع الجزائري لا يوجد بصفة كثيرة مقارنة بتلك التي لا زالت إلى حد الآن تتمسك بتراتها الاجتماعية والثقافية الموروثة من الأسلاف.

ويمكن ملاحظة هذا التغير المستحدث والتبني للحياة العصرية لدى بعض الأسر، على مستويات مختلفة أولها دون شك يتمثل في كيفية حدوث الزواج وفي الطريقة المتبعة لاقتراح شابين من جنسين مختلفين قصد الوصول إلى الهدف الشرعي ألا وهو الزواج، فبعد أن كان الزواج هو من مسؤولية الآباء لا غير، أصبح الآن في الحياة الاجتماعية العصرية من اختصاص الأبناء لوحدهم لا يشاركهم أحد في اتخاذ قرارهم في هذا المجال، وهذا ما أدى إلى ظهور بما يسمى في الوقت الحاضر بالزواج المبني على الحب، هذا النوع من الزواج

سمح لظهور معطيات جديدة أخرى على مستوى الحياة العامة للأسرة، إذ أن الأسرة الزوجية الحديثة، بمجرد انتهاء الزفاف حتى تراها تذهب لتسكن مسكنا خاصا بها وبالتالي تستقل من الأسرة المرجعية على جميع الأصعدة سواء كان ذلك على الصعيد المادي الاقتصادي أو الاجتماعي المعنوي.

ومن دون شك أن نجاح الزوجان في استقلالية أسرتهما الحديثة هذه، يتوقف على مدى توصلها إلى نوع من التوافق والتساوي في علاقتهما الزوجية، وانسجام الطرفين في طريقة تسيير وإدارة البيت العائلي بشكل لا يتيح للاضطراب ولسوء التفاهم أن يظهر بينهما أو يؤثر على علاقتهما أو أن يشكك في قناعتها بالمبادئ الأسرية المتداولة في الحياة العصرية. كالتخطيط لحجم الأسرة المراد إنشاؤها وذلك عن طريق تنظيم وتحديد نسلهما بصفة علمية ومنظمة لا تتدخل فيها آراء الأطراف الأخرى، ضف إلى هذا إيمانها العميق بعدم التشبث بالتقاليد خاصة إذا كانت هذه الأخيرة لا تساعدهما على الوصول إلى أهدافهما في ظل الحياة العصرية التي تفرض وتستلزم مثل هذه القيم والخصائص حتى تتمكن الأسرة من أن تعصرن حياتها وحياة أفرادها وتقدم لهم مضمون تربوي ودور اجتماعي يتماشى ومتطلبات العصر.

وفي هذا الصدد يمكن التركيز على بعض الظواهر المستحدثة التي تمس في العمق عادات وتقاليد الأسرة التقليدية ومن هذه الظواهر يمكن ذكر: الزواج المبني على الحب، استقلالية الخلية

الزوجية، التوافق في علاقة الزوجين، حجم الأسرة تحديد النسل وفي الأخير عدم التشبث بالتقاليد القديمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه توجد ظواهر أسرية جديدة أخرى يتعذر ذكرها نظرا للاختيار الذي وقع على الظواهر المذكورة في السابق والتي تعتبر من الأمور الأساسية لكل أسرة تريد أن تكون حديثة، وفيما يلي ستعرض كل هذه الظواهر بشيء من التفسير والتحليل قصد توضيحها أكثر.

ب- 1 الزواج المبني على الحب:

كان في السابق اختيار الزوج والزوجة، يعتبر من الأمور التي تقتصر على الآباء والأسرة بصفة عامة. إذ يتوجب على الشاب والشابة أن يقبلا برأي أبويهما في أهم قضية تخص مستقبلهما دون أي جدل أو نقاش أو معارضة، فلم يكن في هذا الأسلوب من الاختيار أي فرصة لتعارف الطرفين المخطوبين أو حتى مجرد رؤية أحدهما الآخر. ولكن بعد التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في المجتمع بصفة عامة ظهرت مفاهيم أخرى جديدة أصبحت هي التي تسيطر طريقة وعملية الاختيار في الزواج، وغالبا ما تكون هذه المفاهيم آتية من المجتمعات الغربية "التي تعطي الفرص الكافية للفتى والفتاة للتعارف ودراسة كل منهما للآخر قبل الزواج، بحيث لا يتم الزواج إلا بعد موافقة صريحة من الطرفين، مبنية على خبرة أحدهما بطباع الآخر" (محمد خليفة بركات، 1977: 50).

وقد كان لهذا النوع من الاختيار عوامل مساعدة أولهما: تفهم الأسر المرجعية وضعية أبنائهم ذكورا وإناثا خاصة أولئك المقبلين

على الزواج، إذ لا تشدد عليهم الرقابة الصارمة في هذا الموضوع ولا تعمل على احتكاره وحصره من بين مسؤولياتها بل بالعكس تعمل على توفير الحرية التامة لهم، وتتركهم لإرادتهم مع السماح لهم بمزيد من المسؤولية والاستقلال في اختيار الشريك الملائم الذي ينسجم مع أذواقهم ويثير عواطفهم وينال إعجابهم بصفة صادقة. أما ثانيهما: فيتمثل في التطور الذي حدث في مركز المرأة لاسيما في النقاط الأساسية التالية:

1. رفع القيود الصارمة على سلوكها وإتاحة الفرص لها للاختلاط بالرجال في مجالات مختلفة منها المجالات الثقافية والفنية التي أتيحت لها فرص الالتقاء بالشريك المناسب في أجواء طبيعية لا تخنقها القيود والرسميات.

2. إتاحة الفرصة للمرأة للتعلم تعلما عاليا مختلطا، وهذا له معناه بالنسبة إليها فقد أتيحت لها الفرصة أن تشترك في حياة الجامعة أو المعهد بكل ما فيها من تجمعات للشباب وكذلك في المنافسات المختلفة علمية كانت أو رياضية أم ثقافية والاختلاط في جو تظهر فيه كل شخصية على حقيقتها دون زيف أو خداع.

3. إتاحة الفرصة للمرأة، للعمل بالوظائف المختلفة ومن نتيجة ذلك أيضا، زيادة فرص الالتقاء مع شركاء أكثر ملائمة لها. وحيث يتم ذلك في ظروف طبيعية أيضا. كل هذا يؤدي إلى تفاهم أكبر بينها وبين شريك المستقبل وإلى إتاحة الفرصة لكل منها لدراسة الآخر في ظروف ملائمة" (سامية حسن الساعاتي، 1981: 115 - 116).

انطلاقاً مما سبق يمكن القول أن شباب اليوم بإمكانهم أن يتبنوا مثل هذا الزواج ألا وهو الزواج المبني على الحب، خاصة إذا توفرت لديهم إمكانيات المساعدة على تحقيق ذلك كالتى ذكرناها، لأنه في حالة عدم توفرها وخاصة إذا كانت الأسر التي ينتمون إليها غير متفتحة ومغلقة فإن هذا من دون شك سيخلق مشاكل كثيرة، ليس بمقدور الشباب أن يواجهها أو أن يتغلب عليها مهما كانت إرادته أو رغبته في ذلك لذا توجب على الجميع أن يتقطن لهذا الأمر وأن يوجهه التوجيه الحسن وذلك نظراً للفائدة والمنفعة التي ستعود على الحياة الاجتماعية للأسر بصفة عامة وعلى الحياة الزوجية للشباب بصفة خاصة. فمثلاً يتوجب على "المجتمع أن يهيئ للشباب من الجنسين الظروف التي تؤدي إلى إنجاح الاختيار قبل الزواج وإلى تحقيق فترة الخطوبة لأهدافها. فمن الضروري أن يكثر الآباء والمربون من الفرص التي تتيح للقاء الجنسين بما يساعد على التعارف ودراسة كل منها للآخر سواء كان ذلك في المعاهد الدراسية والمصانع أو الاجتماعات العائلية والحياة الاجتماعية العامة. ومن الضروري أن تهيأ الأماكن المناسبة لمثل هذا النوع من الاختلاط الذي تتاح فيه فرص اللقاء عن قرب بما يسمح لتكوين علاقات الصداقة التي تهيئ الطريق للعلاقة الزوجية سواء كان ذلك في النوادي الرياضية والاجتماعية إلى نحو ذلك" (محمد خليفة بركات، 1977: 72).

وبتوفر كل هذه الإمكانيات وتعود أفراد المجتمع على مثل هذه السلوكات يمكن أن تتغير الذهنيات السائدة في الأسر وفي أبنائها بخصوص هذا الموضوع، كما يمكن أن تتغير دوافع الاختيار في

الزواج من اجتماعية واقتصادية نفعية في أغلب الأحوال. إلى دوافع سيكولوجية محضة نابعة من الوجدان كالعاطفة الصادقة المتبادلة والصحة الحقيقية المخلصة والمحبة الوفية القوية بين الطرفين الراغبين للزواج.

ب- 2 استقلالية الخلية الزوجية:

من السمات البارزة في الأسر العصرية الحديثة التكوين، استقلاليته عن الأسرة المرجعية الكبيرة، وتحررها من كل الروابط التي كانت تفرضها عليها، فبعد نجاح الطرفين في تحقيق زواج واقتران مبني على عاطفة الحب، وبعد تمكّنها من تكوين خلية زوجية ذات أسس حديثة، أصبحتا مجبرين الآن على إتباع الخط التحضري في حياتهما وملزمين بتكملة كل حلقاته دون تقليص أو تقصير. ومن بين هذه الحلقات المميزة لحياة الأسرة النواتية الحديثة وجوب انفصالها وابتعادها عن حياة العائلة الممتدة والمتمثلة في الآباء، الإخوة، الأقارب، القريين منهم والبعيدون والذهاب للعيش حياة مستقلة هنيئة لا تتدخل فيها أية من أسر العروسين.

ولا يمكن لهذه الاستقلالية أن تكون ناجحة إلا إذا برهن الزوجان على قدرتهما في التكفل بحاجيات الأسرة التي يريدان تكوينها وتأمين متطلباتها وضروريات العيش لها. دون أي معاونة من الخارج وبدون أي مساعدة من أحد. وهذا لا يتأتى إذا كان دخل الأسرة غير كافٍ، لذلك فمن الشروط الأولى التي يجب أن تتوفر في الزوجين حتى تتمكّن أسرتهما من الاستقلال هي: أن يكونا منتجين ويعملان جانبا إلى جانب في مواجهة مصاريف البيت وفي

تحمل أعباء المنزل، لأن من المميزات الأساسية للأسرة الزوجية النواتية الحديثة على المستوى الاقتصادي أن تكون ذات قاعدة مادية مستقلة لا تتزعزع مادام الزوجان يؤمنان العيش الزوجي. فلا ينبغي لهما أن يلجأ إلى الأسرة الأصلية حتى تؤمن ملبسهما وماكلهما، لأنه سلوك يؤدي بالزوجين وبأسرتهما المستقلة إلى العودة إلى النظام القديم وبالتالي عودة سيطرة الأسرة الكبيرة على حياتهما وعلى كيفية وطريقة عيشهما. لذلك لا يجب أن يتهاون الزوجان في توفير كل مستلزمات العيش المستقل—هذا إن أرادا بطبيعة الحال أن تتمتع أسرتهما حقا بالاستقلال التام اللامشروط- .

ومن هذه المستلزمات أيضا ضرورة توفير السكن المستقل، إذ من غير الممكن أن تتميز الخلية الزوجية بميزة الاستقلالية إذا مازالت تعيش في كنف حماية الأسرة الكبيرة وتحت سقف منزلها، ولكي تقضي الأسرة الحديثة على هذا النوع من المشاكل المعرقة لتحررها "بدأت نسبة لا بأس بها من المتزوجين الجدد، تبحث بصورة واعية عن مسكنها الزوجي بعيدا عن سكن أسرة أحدهما وهذا يعكس درجة وعي متزايد عن تأثير الأهل في حياة الأسرة الحديثة ورغبتهما في تجنب مثل هذا التأثير في انتقائها مكان لا يوفر فرص لقاء واحتكاك مستمرين بالأهل" (زهير حطب، 1976: 247- 248).

في حالة ما إذا لم يستطيعا تحقيق هذا الشرط الرئيسي، فإن هذا يعني خضوعهما للتدخلات غير المحدودة من طرف عائلتهما اللتين غالبا ما تعمل على عكس صفو حياتهما في مختلف الميادين حتى في الأمور التافهة التي ليس لها أي معنى، الشيء الذي يؤدي إلى

الصراع والنزاع ليس فقط على مستوى الزوجين بل حتى على مستوى أسرة كل واحد منهما. بحيث كل واحدة تريد أن تسيطر على الأخرى وكل زوج يريد أن يجذب قرينه إلى صفه، وهكذا يفقد الزوجان استقلاليتهما في تسيير شؤون بيتهما لوحدهما.

بالإضافة إلى هذا الشرط هناك أمور أخرى يتوجب على الزوجين الشابين أن يحتاطا لها ومنها بالخصوص أن يجعلا علاقات أسرتهما الحديثة محدودة مع الغير. فلا يجب أن يقيما علاقات اجتماعية وعائلية واسعة لأن ذلك سيؤثر حتما على تحكمهما في الأمور بصفة شخصية مستقلة. وذلك نظرا لتواجد الآخرين دائما بقربهما وعلمهم بما يحدث من أمور في بيتهما وأسرتهما الأمر الذي يشيع مشاكلهما أمام العامة. لذا يتوجب عليهما ضرورة الانتقاء وحسن الاختيار مع من سيقيمان من علاقات في المستقبل، إذ أن الاختيار الجيد للأسر التي سيتعاملان معها، سيساعدهما على متابعة طريقهما نحو العصرية والتحضر في شتى المجالات.

فلا ينبغي لهما مثلا أن يقيما علاقات زمالة أو صداقة مع أسر وعائلات لا تؤمن بمبادئ الحياة الاجتماعية العصرية لاسيما مبدأ استقلالية الخلية الزوجية من كل قيد أو رباط مهما كان مصدره. وذلك حتى يمكن لهما تفادي كل المشاكل التي ممكن أن تحدث لهما في حياتهما الزوجية.

وعلى أساس ما سبق من قول يمكن الإشارة في هذا المجال: أن الشباب إذا أرادوا حقا أن يتحلوا بشخصية عصرية تساعد على التقدم إلى الأمام يجب أولا أن يتميزوا بالاستقلالية الشخصية وهم

عذاب أي قبل زواجهم وثانيا أن يتفقوا مع أزواجهم على إضفاء صفة الاستقلالية للأسرة التي يأملون تكوينها بعد زواجهم. لأن مثل هذا التصرف والاختيار يعتبر حقا من المميزات الأساسية ومن الخصائص الهامة للأسرة العصرية ومن المفاهيم الجوهرية الاجتماعية المتحضرة.

ب- 3 التوافق في علاقة الزوجين:

تتميز علاقة الزوجين في الأسرة العصرية بمميزات تختلف عن تلك الموجودة في الأسرة التقليدية، فبعد أن كانت تتميز بالسيطرة والقهر، والاستبداد أصبحت الآن تتصف أكثر بالحرية والديمقراطية والمساواة، إذ أن "العلاقة الشخصية بين أفراد العائلة تغيرت، والقوة الفعالة لأب الأسرة استبدلت بسلطة أكثر ديمقراطية والجو الصارم والصعب والقهري للعائلة ترك مكانه لجو مخالف تماما، والأسرة اليوم أصبحت جماعة أكثر منها مجتمع، ولعنصر الحنان والعطف أهمية أكثر من عنصر السلطة والتسلط" (Paul Barreau, 1962 : 25). هذه التغيرات التي استحدثت في سبيل العصرية والتحضر ساعدت كثيرا الأسرة الحديثة على تكوين علاقات داخل العائلة تتسم بالتححر وعدم التزمّت والانطلاق والتفتح. الشيء الذي أدى بالزوجين العصريين إلى التفاهم والتطابق والتوافق في علاقتهما الزوجية وفي حياتهما الأسرية، ويظهر ذلك في كثير من الميادين والمجالات ذات الارتباط الوثيق بنمط حياة الأسرة وأسلوبها في طريقة العيش وبكيفية إدارة المنزل العائلي وتسيير شؤونه الداخلية والخارجية وبالصيغة التي يتم بها التعامل بين الزوج وزوجته داخل المنزل الأسري.

وفي هذا الإطار تعد ظاهرة خروج المرأة للعمل من أبرز الظواهر المميزة للأسرة العصرية. فالزوج العصري لا يرى أي مشكل في أن تخرج زوجته إلى العمل، بل بالعكس تراه يدافع عن ذلك ويحث على ضرورة خروج المرأة للعمل لأن في ذلك منفعة عامة على الأسرة والمجتمع. ومن جهة أخرى يعد العمل في نظر المرأة اليوم من أهم الأهداف التي يجب أن تحققها حتى تشعر بصفة حقيقية بحريتها ومساواتها مع زوجها الرجل. وهو الأمر الذي يساعدهما لا محالة في التغلب على غلاء المعيشة وفي التصدي لمصاريف الأسرة بشيء من الارتياح والاطمئنان.

ومن بين الأسباب التي تجعل الفرد العصري يستحسن اشتغال المرأة في الوقت الحالي يمكن ذكر ما يأتي: "أنه يجعل المرأة تعتاد مواجهة صعاب الحياة. أنه مظهر من مظاهر التعاون بين الزوجين، أنه يظهر مساواة المرأة والرجل في القدرة على العمل، أنه يقتل وقت فراغ المرأة ويشغلها عن التوافة" (سامية حسن الساعاتي، 1981: 321). ومن أجل تحقيق كل هذه الأهداف شاعت هذه الميزة على مستوى أغلبية الأسر العصرية، فلا يمكن أن تجد مثلاً زوجين شابين يتميزان بالعصرية في حياتهما، أحدهما يعمل والآخر باقي في المنزل ولكن بالعكس ترى كلاهما يعملان ويتقاسمان أعباء ومصاريف البيت العائلي. ويعتبر هذا السلوك والاتجاه الصادر من طرف الزوجين في التكفل المشترك لضروريات الحياة، من أهم العوامل النفسية التي تشجع بقاء الزوجين في ظل علاقة تسودها المحبة والعطف والحنان والتوافق الحقيقي الصادق.

ومن العوامل المساعدة أيضا على استمرار التوافق بين الزوجين، اعتبار الزوج العصري زوجته كصاحبة ومساعدة حقيقية لا فرق بينهما لا في الشأن ولا في الدرجة، ولا يسمح لنفسه أن يتميز عنها في أي موضوع من المواضيع مهما كانت أهميته. وفي هذا الصدد غالبا ما يبدي لها الاهتمام الكبير فيما يخص عواطفه نحوها، بحيث يتحدث معها دون أي حرج وبكل مرونة وحنان حتى إن تواجد أبويه معه، إذ أنه يناديها باسمها وأحيانا بأسماء تدل على المحبة القوية ليس كما هو موجود في الأسرة التقليدية أين ينادي الرجل زوجته بكلمة "يا امرأة" أو "يا بنت الناس" فالسلوكات مثل هذه لم يعد يوجد لها مكان في قاموس حياة الأسرة الحضرية ولا في مضمون العلاقة بين الزوجين العصريين.

ومن ضمن الشروط التي تزيد من سعادة العائلة أيضا والتي تحافظ على تماسك العلاقة بين الزوجين، تلبية الحاجات النفسية الأساسية للأسرة بصفة عامة. ومن أهم هذه الحاجات هناك الاطمئنان النفسي لكل أفراد الأسرة "فالزوج مسؤول عن توفير الجو العائلي الذي يبعث على الاطمئنان والتفاؤل والثقة بالنفس والزوجة مسؤولة أيضا عن تهيئة الجو المنزلي بما يجعله باعثا على الأمن والاطمئنان، ومن المعروف أيضا أن إشباع الحاجة إلى الشعور بالأمن أساس للتقدم الاجتماعي. فالحياة الزوجية الناجحة هي التي يتوافر فيها الشعور بالاطمئنان عند كل من الزوج والزوجة.

ولعل أهم عامل في توفير الشعور بالاطمئنان والأمن هو توافر الشعور بالحب في جو الأسرة. فمن الثابت في علم النفس أن كل

شخص مخلوق وفي نفسه دافع طبيعي إلى أن يحب غيره، ودافع طبيعي أيضا أن يشعر بحب غيره له. ويعبر عن ذلك بحاجة الشخص إلى أن يحب ويحب، وليس المقصود بالحب هنا مجرد الحب المرتبط بالعلاقات الجنسية، وإنما المقصود هنا بالحب المبني على النضج العاطفي بصفة عامة والذي تنعكس آثاره في جميع التصرفات كالرغبة في إسعاد الغير والتضحية من أجل راحتهم (محمد خليفة بركات، 1977: 86 - 87).

من كل ما سبق يتبين أن العلاقة الزوجية للزوج العصري هي علاقة نابعة من انسجام أذواق شخصية الطرفين، وهادفة إلى تكوين حياة أسرية ونفسية اجتماعية مشتركة في كل نواحي الحياة، فهي في الأساس تجمع بين علاقات الود والصداقة وعلاقة العطف والمحبة، واتحاد لعلاقات التعاون والاشتراك في مواجهة مشاكل الأسرة من جهة وتحقيق أهدافها من جهة أخرى لذلك فكثيرا ما نلاحظ نجاح مثل هذا النوع من العلاقات الزوجية في الواقع المعاش خاصة إذا كان الطرفين مقتنعين بمبادئ الحياة الزوجية العصرية أصدق الاقتناع.

ب- 4 حجم الأسرة وتحديد النسل:

"كانت الأسرة العربية ولا تزال تشجع الإكثار من النسل وتعتبر كثرة الأبناء في الأسرة مصدرا للفخر والاعتزاز ووسيلة لسيطرة والقوة. غير أن هذه القيم قد بدأت تخضع للاتجاهات الحديثة في تنظيم الأسرة وتحديد النسل أخذا بالتعاليم الطبية والاقتصادية وأصبحنا نجد الكثير من العائلات المثقفة تعمل على الاعتدال في

حجم الأسرة بحيث عدد الأبناء قليلا وتوجه لهم المزيد من الرعاية والعناية، وأصبحت الطاقة التي كانت توزع بين عشرة أطفال تركز الآن على أقل من نصف هذا العدد" (محمد خليفة بركات، 1977: 186). وقد تفتنت الأسرة العصرية في الوقت الحاضر لهذه القضية المهمة -تحديد الأسرة وتنظيم نسلها- بعد أن تأكدت من أنها العملية الوحيدة التي تمكنها من تخطي النمو الديمغرافي على المستويين العائلي والاجتماعي، والحل الوحيد في القضاء على صعوبات الحياة بمختلف أنواعها.

فتنظيم الأسرة وتحديداتها تعني حياة الإنسان من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية والنفسية وهذه هي مجموعة الأهداف التي تود أن تصل إليها كل أسرة تؤمن بالمبادئ العصرية نظريا وتطبيقيا وعلى كل المستويات.

فعلى المستوى الاجتماعي يسمح تنظيم الأسرة برفع نسبة الطبقة المنتجة في المجتمع "إذ تقل النسبة المنتجة من السكان في الوقت الذي ترتفع فيه النسبة المستهلكة من الأطفال والمراهقين والمسنين. وتنظيم الأسرة يعمل على زيادة من هم في سن العمل والإنتاج بالنسبة لمجموع السكان وهذا له أثره في زيادة الإنتاج، ودعامة الاقتصاد القومي ورفع مستوى المعيشة" (عبد السيد البرنشاوي، 1966: 104).

ومن هذا تتضح الفائدة التي يمكن أن تنتج من تطبيق هذه العملية وخاصة إذا كانت مطبقة بصورة حسنة.

وإذا استمرت الأسرة في تطبيقها وإتباع الطرق العلمية في ذلك فإنها دون شك ستستفيد بفوائد أخرى في كثير من المجالات التي تمس نظامها المعيشي لاسيما المادي منه والمعنوي.

فمن ناحية الغذاء والكساء تكون الأسرة التي تطبق عملية تحديد النسل وتنظيمه قادرة على توفير المأكل والملبس الكافيين لأبنائها وغير ذلك من الضروريات والمستلزمات دون أي عناء أو تعب يذكر وهنا يكون تمتع أفراد الأسرة بالعيش الرغد يتناسب عكسيا مع عدد أفرادها، فإذا زاد عدد الأفراد في الأسرة فهذا يعني قلة نصيب الفرد في العيش الحسن والعكس بالعكس صحيح في هذا المثال.

أما فيما يتعلق بالناحية النفسية، فتتظيم الأسرة له دور مهم يلعبه في تأمين الاستقرار النفسي والاجتماعي لكل أفراد الأسرة بصفة عامة. فكما هو معلوم أن "عدد أفراد الأسرة له دخل كبير في الحالة النفسية لكل عضو فيها، فالأسرة قليلة العدد يسودها الاستقرار النفسي والعلاقات بين أفرادها متزنة، الأم: في هذه الأسرة غير محملة بأعباء فوق طاقتها. لأن مرات الحمل القليلة تتيح فرصة للأم لاستعادة صحتها وقوتها ونشاطها، والقلة من الأولاد تحتاج منها مجهودا لا يرهقها. الأب: في هذه الأسرة يشعر بارتياح نفسي لأن دخله يكفي احتياجات أسرته فلا تعترضه أزمات مالية تثور لها أعصابه. الأبناء: علاقاتهم ببعضهم متزنة لأن هذا امتداد للاستقرار النفسي الذي يعيش فيف الوالدين، وهذا يوحد اتجاهاتهم التربوية

نحو أبنائهم ويتضافرون في حل مشاكل الأبناء في جو هادئ (عبد السيد البرنشاوي، 1966: 107).

من خلال ما سبق يظهر أن عملية تحديد وتنظيم النسل هي من العمليات الأساسية التي تتبع في الأسرة الحديثة لأن الفرق الذي يميز هذه الأخيرة عن الأسرة التقليدية يتمثل في كثرة الأبناء وعدم الاهتمام بهم على أحسن وجه، عكس الأسرة العصرية التي تؤمن بضرورة إنجاب عدد قليل من الأبناء لأن ذلك يعطيها فرصاً أفضل في التغذية والتربية والترفيه والتعليم والرعاية والعناية الجيدة.

وعلى أساس هذا ينبغي على الأسرة الجزائرية وخاصة الشابة منها، إذا أرادت أن تقضي على المشاكل التي تعاني منها أغلبية الأسر في الوقت الحالي، كضيق السكن وكثرة الأولاد وصعوبة المعيشة، أن تتبع هذه الطريقة في أسلوب حياتها وذلك حتى تتحكم في نسلها مستقبلاً وتصبح تتميز بما تتميز به الأسر العصرية الآن في المجتمعات الحديثة المتطورة.

ب- 5 عدم التشبث بالتقاليد:

أصبحت الأسرة العصرية اليوم، لا تولي اهتمام كبير لتقاليد الماضي خاصة إذا كانت لا تتماشى ومقتضيات العصر، ويبرز هذا الموقف في اضمحلال الكثير من الظواهر التقليدية وتلاشيها على مستوى حياتها في الداخل والخارج. وهي الظواهر التي كانت تطفئ على نمط حياة الأسرة التقليدية سابقاً، فالزواج مثلاً لم يعد قضية الآباء في الأسرة العصرية ولكن باتت تابعة لإرادة الأبناء دون غيرهم، إذ لهؤلاء الحرية الكاملة في اختيار القرين الذين يريدون

الزواج منه، وأضحى الشباب المقدم على الزواج لا يعلق كبير الأهمية على رأي أسرته بصدد الزوج الذي سيقع عليه الاختيار، بقدر ما يولي للحب والتفاهم الاعتبار الأساسي في الاتفاق وعقد الاقتران. فالهدف من الزواج لم يعد تحالفا بين جماعتين أو عائلتين بقدر ما هو اتحاد شخصيتين انسجمتا في كل العوامل الثقافية، العلمية، الجمالية والنفسية.

ومن الظواهر التي لم تعد الأسرة العصرية تتمسك بها، هناك الطاعة العمياء التي كانت تفرض على كافة أفراد الأسرة، فلا الزوجة تستطيع أن تناقش زوجها ولا الأولاد قادرون على التحدث بصفة حرة مع آبائهم، ولكن الآن تغيرت هذه المفاهيم الأسرية القديمة بمفاهيم جديدة تسودها علاقات أكثر ديمقراطية وأكثر حرية وتسامح.

فمن السمات البارزة في هذا المجال على مستوى الأسرة العصرية يمكن التأكيد على المساواة والتطابق والاتفاق بين الزوج وزوجته دون خضوع أحدهما للآخر "وهي المساواة التي بدأت تتحقق في الميادين المختلفة للحياة الزوجية من الاشتراك في تقرير مختلف المشتريات إلى اتخاذ القرارات المهمة في الأسرة إلى توزيع للمهام المنزلية والأعمال والخدمة فيه" (زهير حطب، 1976: 248-249). ويمكن القول في هذا الصدد أن هذا التغيير المستحدث لم يأتي إلا بعد اقتحام المرأة كل الميادين العلمية منها والعملية والقيام بكل النشاطات التي كانت تقتصر فقط على الرجال، وعندما برهنت على ذلك بصفة قوية، تمكنت من فرض ذاتها وشخصيتها سواء أكان ذلك في داخل الأسرة أو خارجها. الأمر الذي قضى على

الاختلال الذي كان موجود في علاقاتها بالرجل، ومن جهة أخرى ساعد بصفة قوية على إزالة الكثير من المعوقات التي تعرقل تطور ونمو الأسرة نحو الافضل نفسيا وتربويا، اجتماعيا واقتصاديا.

ولعل أبرز ظاهرة تخلت عليها الأسرة العصرية في الوقت الحالي هي السلمية الأسرية التي كثيرا ما عان منها أفراد العائلة التقليدية، الذين كانوا يعيشون في جو من الاحترام والخوف بسبب سيطرة هذه الذهنية على عقولهم فإذا كان للشباب مثلا أخ يكبره في السن فإنه لا يمكن أن يناقشه ولا أن يعيد النظر في آرائه وإن حاول ذلك تقوم كل الأسرة ضده، ذلك لأنه لم يحترم السلم العائلي نفس الشيء ينطبق على الفتاة بالنسبة لأختها، أما في الوقت الحالي فقد انتهت كل هذه المعتقدات بحيث أصبح أفراد الأسرة كلهم في مرتبة واحدة لا يوجد تمييز بين كبيرا وصغيرا، كل واحد ومكانته وكل واحد له الحق في إبداء رأيه أو رفض شيء معين حتى ولو كان مصدره من أفراد عائلته الذين يكبرونه سنا.

إضافة إلى هذه الظواهر التي تخلت عنها الأسرة العصرية، هناك مفاهيم أخرى عملت على نزعها من أذهان أفرادها، بحيث أن الفرد العصري لم يعد يرتبط كثيرا بأسرته خاصة عندما يصل إلى سن الشباب. فهو لا يهتم إطلاقا بما يصيب الأسرة التي نشأ فيها من أحداث يمكن أن تسبب لها المشاكل الكثيرة، وهمه الوحيد في الحياة هو العمل على تحقيق النجاح الفردي الشخصي، مهملا بذلك كل تعاون أو تعاضد مع الآخرين مثلما كان يحدث في العائلة التقليدية سابقا.

"ويؤكد الكثير من الباحثين في هذا المجال على أن ظاهرة التحديث ينتج عن إضعاف مشاعر الولاء القوية التقليدية، فتضعف مظاهر الخدمة والمساعدة العفوية وغير المنظمة لتحل محلها خدمات تطوعية في شكل منظمات رسمية أو شبه رسمية" (مصطفى عمر التير، 1980: 115) وكنتيجة لهذه الأفكار العصرية التي غزت عقول الأفراد وغيرت مفاهيمهم نحو الحياة، أصبح التمسك باسم العائلة والتفاخر به من الأمور التي ليس لها أي معنى ولا يفيد في الوصول إلى أي شيء، ما دام أن قيمة الفرد لم تعد تمنح على أساس الحسب والنسب، والانحدار الاجتماعي بقدر ما أصبحت تقييم بالكفاءة العلمية والقدرة التكنولوجية والإمكانات الذاتية في انجاز الأعمال وتحقيقها.

من خلال كل ما تقدم من خصائص متنوعة للأسرة العصرية - المذكورة سالفا- وبعد إدراك أهميتها في دفع أفراد الأسرة نحو التطور والعصرية. يمكن القول أنه من الواجب على المجتمعات النامية ومن بينها الجزائر أن تعمل على حث أفراد الأسر من آباء وأبناء على التحلي بهذه الخصائص والمميزات قصد تسهيل عملية التغيير وحتى يتيسر الطريق في سبيل التنمية والتقدم

المراجع :

1. محمود عبد القادر؛ التغير الاجتماعي الذي طرأ على الأسرة المصرية الحديثة، المجلة الاجتماعية القومية، الجمهورية العربية المتحدة، 1971 (1).
2. محمد خليفة بركات؛ علم النفس التربوي في الأسرة، دار القلم الكويت، 1977.
3. سامية حسن الساعاتي؛ الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، 1981.
4. زهير حطب؛ تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية لقضاياها المعاصرة، معهد الإنماء العربي، ط1، لبنان، 1976.
5. عبد السيد البرنشاوي؛ تنظيم الأسرة، دار الفكر العربي، 1966.
6. مصطفى عمر التير؛ التنمية والتحديث، معهد الإنماء العربي، بنغازي، 1980.
7. Barreau, P, *Famille ouvert sur le monde*, Paris, Les éditions ouvriers, Paris .1962.